مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR FOR STUDIES AND SUTAINABLE DEVELOPMENT

لم تعد الولايات المتحدة القوة الكبرى في الشرق الأوسط، وإنما إيران

بقلم: سيمون تيسدال

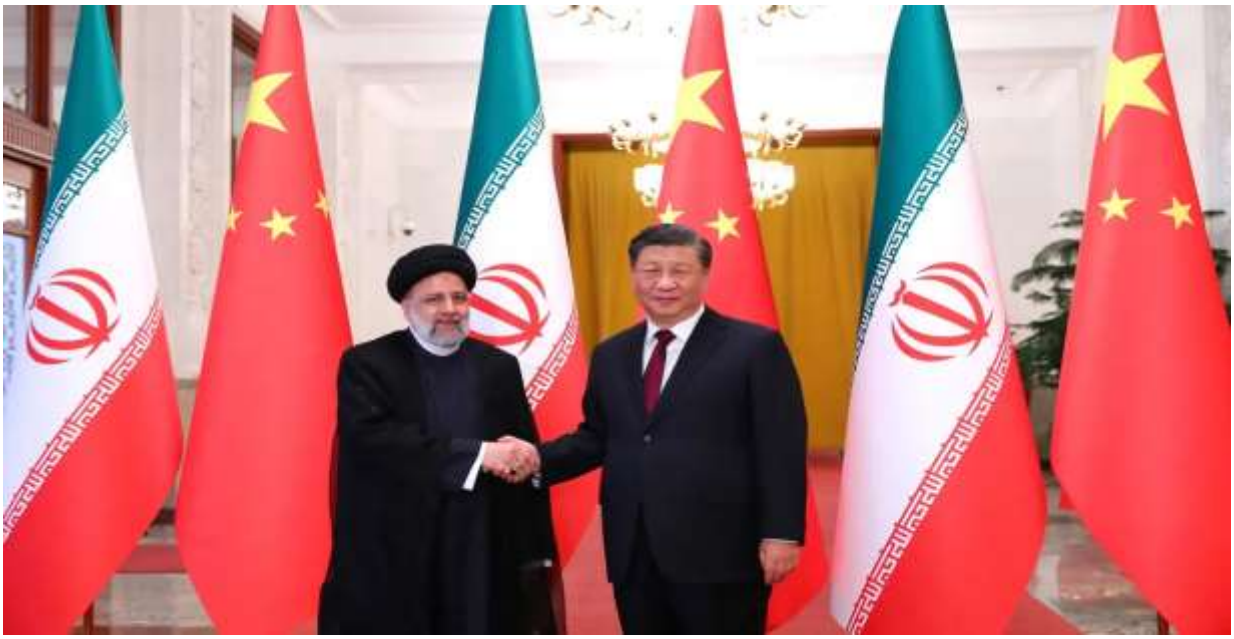

المصدر: الجارديان البريطانية يناير 14, 2024

قسم الابحاث والترجمة

عن المركز :

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغد اد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام –فضلاً عن قضايا أخرى- ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز،إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها.

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات و التنمية المستدامة

www.ALMANBAR.ORG

INFO@ALMANBAR.ORG

لم تعد الولايات المتحدة القوة الكبرى في الشرق الأوسط، وإنما إيران

الكاتب: سيمون تيسدال

تمثل الضربة الأولى من بين العديد من الضربات الجوية التي تقودها الولايات المتحدة على المسلحين الحوثيين المدعومين من إيران في اليمن، علامة فارقة أخرى مثيرة للقلق في سلسلة طويلة من إخفاقات السياسة الغربية في الشرق الأوسط –أبرزها وأهمها الفشل منذ عقود في حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

إن حقيقة اضطرار الولايات المتحدة، بدعم من بريطانيا، إلى استخدام القوة رداً على هجمات الحوثيين الخانقة للتجارة على السفن في البحر الأحمر تعكس واقعاً غير مستهجن، ويثبت أن نفوذ واشنطن السياسي آخذ في التضاؤل، ودبلوماسيتها غير فعالة، وسلطتها محل ازدراء. بالمقابل تعهد الحوثيون، بشجاعة، بمواصلة الهجمات.

إن هذا التصعيد المشحون والمفتوح على أحتمالات أكثر خطورة يسلط الضوء على حقيقة أخرى غير مرحب بها. ولم تعد القوة المهيمنة في الشرق الأوسط هي الولايات المتحدة، أو مصر المتحالفة مع الغرب، أو المملكة العربية السعودية، أو حتى إسرائيل. وأنما هي إيران وهي الحليف الرئيسي للحوثيين.

من السهل الحديث عن الفائزين والخاسرين وسط المذبحة الرهيبة في غزة – والتي يقول الحوثيون إنها كانت السبب وراء حملتهم. ومع ذلك، فمن الناحية الاستراتيجية، من الواضح من يتقدم في هذه الأزمة. ومن خلال القتال بالوكالة، يتم تعزيز مكانة إيران من خلال كل ضحية فلسطينية، وصواريخ حزب الله، والقصف العراقي والسوري، والطائرات بدون طيار الحوثية.

لقد عمل الرئيس الأميركي جو بايدن على اثارة غضب الرأي العام العالمي (والكثير من الأميركيين) من خلال التعهد المتهور بتقديم الدعم غير المشروط لإسرائيل بعد الفظائع التي ارتكبتها حماس واستخدام حق النقض ضد خطط الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار. وتبدو سياسته في الشرق الأوسط قديمة وبعيدة عن الواقع. لقد تم التسامح مع الولايات المتحدة، التي لم تحظى بأي شعبية على الإطلاق في العالم العربي، باعتبارها شراً لا بد منه. لكن ذلك لم يستمر وأن إيران غير العربية هي في مقعد القيادة الآن.

إسرائيل هي الأخرى شهدت صحوة استراتيجية منذ السابع من أكتوبر، على الرغم من أن ساستها الأشد تطرفا لم ينتبهوا إلى ذلك بعد. فقد غيرت أهوال غزة إلى الأبد، وإلى الأسوأ، صورة إسرائيل، وأيد ذلك مزاعم الإبادة الجماعية غير المسبوقة في محكمة العدل الدولية. وقد قال خالد بن بندر السفير السعودي في لندن لهيئة الإذاعة البريطانية لبي بي سي الأسبوع الماضي، إنه لا يجب بعد الآن التعامل مع الدولة اليهودية كحالة خاصة.

وذلك كله من دواعي سرور إيران. فللنظام في إيران ثلاثة أهداف أساسية في السياسة الخارجية: إخراج الولايات المتحدة، أي الخصم الشيطاني لثورة 1979، من الشرق الأوسط، والحفاظ على التفوق الإقليمي، وتقوية التحالفات الأساسية مع الصين وروسيا. ودمار إسرائيل، فعلا أم مجازا، هو الهدف الرابع.

تعمل شبكات المقاتلين الإيرانية ـ أي "محور المقاومة" ـ عن بعد. فالآراء تختلف في ما لو أن الحوثيين المدرَّبين والمسلحين على يد طهران يأتمرون بأوامر منها. إذ يعتقد بعض المحللين أنه لا سيطرة لإيران على الوكلاء اليمنيين. وحزب الله في لبنان يصر هو الآخر أنه مستقل في عملياته.

غير أنه بالنظر إلى حماس في غزة، وفصائل الفلسطينيين في الضفة الغربية، وميليشيات العراق وسوريا، يتبين أن إيران جمعت تحالفا يدار عن بعد رغبة في البقاء بعد الولايات المتحدة. ولن يتغير هذا الواقع من خلال قصف قواعد الحوثيين، بدلا من الدفع إلى وقف إطلاق نار في حرب اليمن الأهلية المستمرة منذ ردح من الزمن. بل الأرجح أنه سوف يؤجج في طهران سردية المقاومة الإقليمية المعادية للغرب والمناهضة لإسرائيل

بذكاء يفوق المعهود من قبل، اتخذت إيران خطوات برجماتية لإصلاح الوضع مع المنافسين في الخليج العربي في العام الماضي، فاستأنفت العلاقات الدبلوماسية مع المملكة العربية السعودية. وكان أوضح جوانب الصفقة هو أن الصين هي التي توسطت فيها.

الصين وروسيا هما أفضل الأصدقاء الجدد لإيران. وهذا، قبل أي عامل آخر، هو ما غيَّر من حظوظ إيران، وجعل منها قوة لا يستهان بها. وكان غزو أوكرانيا، ومعاهدة التعاون "بلا حدود" بين الصين وروسيا من قبل، هما الحافز لهذا التحول.

لقد بلورت الحرب وتداعياتها الاعتقاد الناشئ بالفعل في بكين وموسكو بأن القيادة العالمية الأمريكية، في مرحلة ما بعد دونالد ترامب، إنما هي في تراجع، وأن النظام الدولي القائم على القواعد بإشراف واشنطن إنما هو جاهز للتخريب والاستبدال.

منذ أن تولى شي جين بينج السلطة قبل أكثر من عقد، أنشأت الصين مجالات نفوذ جيوسياسي واقتصادي لمنافسة نفوذ الولايات المتحدة، أو للحلول محلها إذا ما أمكن ذلك. وتحتل إيران مكانة مركزية في خطط شي جين. وفي عام 2021، وقع البلدان اتفاقية استراتيجية للاستثمار والطاقة مدتها خمسة وعشرون عاما. وبرعاية صينية، انضمت إيران إلى مجموعة بريكس ومنظمة شنغهاي للتعاون.

وبالتآمر مع بكين للتحايل على العقوبات، تبيع إيران ملايين البراميل من النفط الخام بأسعار مخفضة إلى الصين كل شهر، وتنتقل إلى هناك عن طريق حاويات النفط في "الأسطول المظلم". وبعد سنوات من الركود والاضطرابات السياسية والاجتماعية العنيفة في الداخل، بدأ اقتصادها ينتعش. وفي فبراير، أخبر شي جين الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي أن الصين تدعم نضال إيران ضد "الأحادية والبلطجة" الأمريكية.

ومع روسيا، يتعلق الأمر كله بالأسلحة. إذ توفر إيران الطائرات المسيرة الحربية التي تستخدمها موسكو لقتال الأوكرانيين. ويتردد أن المخابرات الأمريكية تعتقد أن مجموعة فاجنر الروسية تخطط لتزويد حزب الله بنظام دفاع جوي متوسط المدى، وإن صح ذلك فهو استفزاز مذهل.

وإيران، بدورها، قد تقتني عما قريب قاذفات مقاتلة روسية متقدمة من طراز سوخوي إس يو 35، وطائرات هليكوبتر هجومية، وذلك نتاج "شراكة دفاعية غير مسبوقة". وتزدهر الصادرات الروسية إلى إيران. وتعهدت موسكو بمبلغ أربعين مليار دولار لتطوير حقول الغاز الطبيعي فيها.

وعلى رأس هذا كله، يقال إن برنامج التخصيب الإيراني المحظور المرتبط بالأسلحة النووية يتقدم بسرعة ـ وهذا هدف خاص آخر، ويعزى ذلك إلى تدمير ترامب لاتفاق مكافحة انتشار الأسلحة النووية الذي دعمته الأمم المتحدة في عام 2015. وكان بايدن يرجو إحياءه لكنه استسلم. ولم تعد روسيا والصين داعمتين. ولذلك فقد يكون أسوأ كابوس لإسرائيل، أي القنبلة النووية الإيرانية، أقرب من أي وقت مضى.

وكتب المحللان رويل مارك جيرشت وراي تقية يقولان: إن "المزاج العام اليوم، في الجمهورية الإسلامية مزاج انتصاري.. فقد نجت إيران من العقوبات والاحتجاجات الداخلية. وبمساعدة حلفائها من القوى العظمى، تمكنت من ضبط اقتصادها وبدأت في تجديد دفاعاتها. والقنبلة النووية باتت في متناول اليد."

وبعد خمسة وأربعين عاما من المحاولة، أصبحت إيران أخيرا الطفل الكبير في المنطقة. فلم يفلح فرض العقوبات على طهران ونبذها وتهديدها. وتواجه الولايات المتحدة وبريطانيا ـ وإسرائيل ـ خصما هائلا، هو جزء من تحالف عالمي ثلاثي تدعمه ميليشيات قوية وقوة اقتصادية. والحاجة الآن ماسة إلى نهج دبلوماسي جديد إذا أردنا تجنب صراع أوسع نطاقا.

https://www.theguardian.com/commentisfree/2024/jan/13/iran-is-thwith-china-and-russia-behind-it-iran-is-the-big-kid-on-the-block